نـافـذة

وزيران وسياحة وذاكرة

شاءت الأقدار بعد أن التقيت كلماته أن ألتقيه، ولم أكن لأقدر أن اللحظة التي أشار إليها السيد رئيس التحرير بزيارة الأستاذ عبد الله الخاني ستكون مفصلية في الرؤية العميقة، وتتالت اللقاءات معه، فوجدت ذلك الرجل المختلف، الذي لا يتمسك بشيء، ولا يتهرب من مسؤولية، وكلما قلت له: أطال الله عمرك، سمعته يقول: لا، لماذا طول العمر؟ لا اعتراض على شيء، ولكنني عندما أضع رأسي على المخدة، أشكر الله أنه لا يزال عندي بيت وغرفة نوم وأسرة، فما بال الكثيرين الذين ليس لديهم بيوت أو مكان للإيواء؟ وتنزل دمعته، وهو يقول: عندما يدلف الليل أشعر براحة لأن ذلك سيريحني من القراءة والمتابعة والسماع، فإذا بالدمار يدهمني في نومي، فلا أشعر بطعم للراحة! ولكن هذه النظرة المتعاطفة الحالمة لم تمنعه من أن يمارس حياته كما يراها... وحين كرمته وزارة السياحة، قال: ليس لي عليهم أي شيء، شكراً لهم، استلم شهادة التكريم عني بسبب مرضي، وحين علم السيد المهندس بشر يازجي وزير السياحة بوضعه الصحي، طلب مني- وهو الصديق- أن نذهب للأستاذ الخاني في منزله، وكان ذلك في الصباح قبل أن يباشر العمل في وزارته، الوزير كان حريصاً على الدقة، والوزير الأسبق كان متابعاً تفاصيل الوقت، وكم كان رائعاً أن يدلف ابن العقد التاسع لإكرام ضيفه، والتعبير عن الاعتذار، وبأن الواجب أن يذهب إليه ليشكره على التكريم... الوزير الأسبق أشفق على الوزير الحالي لعمله في ظروف صعبة، والوزير الحالي شكر للمؤسس في السياحة ضمن ظروف صعبة، وشرح له الآليات التي يتم العمل عليها اليوم لتفعيل السياحة داخلياً وخارجياً... لفت انتباهي هذا الاحترام المتبادل بين وزير أسبق ووزير حالي، وحرص كل منهما على السياحة ودورها... لكن ما استرعى الانتباه والروح أمران، فحين سأل المهندس يازجي الأستاذ الخاني عن حاله، أجابه: إنني أتحرك وأشارك بعض الزملاء جلساتهم، وأمشي في الطرقات، لأنني أخشى أمرين، أخشى العجز وعدم القدرة على مغادرة البيت، وأخشى النسيان والخَرَف، وقال الخاني بصوت خفيض: الحمدلله أنني أخرج وأسير في الطرقات، ولا أضيع، بل أعود إلى بيتي، أتمنى ألا أشعر بالعجز، وألا أضيع عقلي وذاكرتي... وذكر حوادث لأصدقاء كانوا قمة الذكاء والحيوية، وفي المكانة الرفيعة، لكنهم فقدوا قدراتهم وأصابهم الخرف في أواخر أيامهم فكانت النهايات بائسة!! وحين ودعه المهندس يازجي رافقه إلى المصعد، وحاولنا ألا يتابع معنا، لكنه انسل إلى المصعد وهو يدّعي أنه يريد الخروج، وهو يقول له: واجباتي أن أودعك إلى سيارتك.
كلاهما كان محرجاً من لطف الآخر واحترامه ولباقته.
وعاد الخاني إلى بيته، في دمشق التي أحبها أكثر من أي مدينة أخرى عاش فيها في الكون، عاد إلى بساطة الحياة الطبيعية التي أرادها لنفسه، ينتظر أصدقاءه للتحاور فيما بينهم، ويستمتع بقراءة دورية أو كتاب ليقاوم الذاكرة، وليجعلها مصقولة دوماً، تنتظر المزيد من المعرفة، مع ما في المعرفة من ألم شديد لأمثاله الذين لا يطيقون رؤية دمار أو خراب أو دم، من أين تأتي الطمأنينة؟ ومن أين ينبع الهدوء في شخص رجل يدلف إلى إتمام العقد العاشر؟

إسماعيل مروة

بعد رحيل رسام الوجوه.. نذير إسماعيل

عاش يتيماً وأسهم في صناعة الفكرة البصرية في اللوحة وكان مبدع الوجوه صامتة الملامح

سوسن صيداوي

نحن في وقت غلبت فيه كفة الوداع على كفة الترحيب واللقاء بعد طول الغياب، ومن الطبيعي في زمن كهذا؟ أن تكون النظرة الكاملة متجلّية بحزن عميق مرافق له الدمعة، فكيف هذا وسورية تودّع أبناءها؟ مرّ أسبوع على وداع الفنان التشكيلي نذير إسماعيل الذي اعتنق دمشق مذهباً منذ أن وُلد، رافضاً وداعها حتى النفس الأخير، وكان إسماعيل صادقاً في عهده، وهذا ليس بغريب مادام من مواليد دمشق ١٧ شباط ١٩٤٨، ورحل عنّا في يوم ١٢ تشرين الأول ٢٠١٦، عن عمر ناهز ٦٨ عاماً، إثر انتكاسة صحية حادّة ألزمته المشفى في الأيام الأخيرة، وكان نعاه «اتحاد الفنانين التشكيليين السوريين»، قائلاً إن الفنان الراحل «تميّز بغنى فريد في بحثه الدائم عن تقنيات جديدة تخدم تجربته التشكيلية التي يختزل من خلالها تعابير إنسانية مختلفة ومتناقضة يظهر فيها إحساسه بالمحيط وكيفية ترجمته لكل ذلك من خلال رسم الوجوه التي أصبحت علامة فارقة لأعمال هذا الفنان».

> رحل وهو يعتبر نفسه في طور التجريب وأعماله هي سجل لتجارب فاشلة وتمثّل حافزاً لعمل شيء مختلف

البدايات

هناك أمور تكون محوراً في حياتنا ووجودنا لا تكون محض مصادفة فهي حاضرة لسبب، انتقال الفنان التشكيلي إسماعيل إلى بيروت في الستينيات وإقامته فيها لمدة سبع سنوات، بالإضافة إلى النصائح المضيئة التي قدّمها له الفنان الراحل فاتح المدّرس، خلال عمل الفنان إسماعيل على الرسم بالأبيض والأسود لعشرة سنوات، ملتزماً بجدية لا يمكن أن تتوانى مهما كانت الظروف خلال ساعات عمل طويلة مخصّصة للرسم وتأمل الحياة، رغم أن لجنة المعارض في وزارة الثقافة السورية في ذلك الوقت، رفضت إشراك أعماله في معرضها السنوي الأول في ستينيات القرن الماضي، إلا أنه واصل شغله الدؤوب بعناد وإصرار كبيرين مع ظرف انتقاله إلى بيروت مانحاً نفسه مجال الاطلاع على النشاط التشكيلي هناك، وخصوصاً أنه كان في بيروت ٢٢ صالة عرض في وقت كانت تفتقر فيه دمشق لمثل هذه الصالات، وبالنتيجة كان أول معرض أقامه في بيروت في غاليري «ون» للفنان يوسف الخال وأول مرة عُرض في دمشق عام ١٩٦٦، ومن وقتها حتى عام ١٩٨٧ تفرّغ إسماعيل للعمل الفني مغنياً الفن التشكيلي السوري بوجوه تميّزت بعمق الشعور وإبداع الأسلوب.

رسومه وأسلوبه

قرر الطفل الذي كان شغوفاً بصناعة البسط اليدوية قرب بيته في حي الميدان الدمشقي، وخاصة بعد أن صنع اللون سحره في نفسه، تعلّم الفن على يديه من دون الالتحاق بدراسة أكاديمية، مكتفياً بالمرور بـ«مركز الفنون التطبيقية» كي يدرس فن الطباعة على القماش، هذه كانت في الطفولة وريعان الشباب ولكن في أوائل السبعينيات تعرّف الوسط الفني على أعمال إسماعيل التي تميّزت منذ اللحظة الأولى بأسلوبه الناضج، مذكّرة بالكتابة الأولى الناضجة لزكريا تامر، فشخوصه كانت مهمّشة جداً لا هوية لها، لا تعبّر عن أي انفعال، وكان يرسم الكائن الإنسانيّ نحيلاً شاحباً، من أجل تأكيد عزلته ووحدته، ويرسمهم واقفين، ناظرين إلى المُشاهد، وجوههم لا تحمل أي ألم أو إحساس ولا حتى احتجاج أو حتى عتب، كان يرسمهم بتقنية الشمع المحروق هذه التقنية التي تتطابق مع ما يواجهونه، فشخوصه بنظره، محروقة بضغوطات العالم الحديدي حولهم.
كان نذير بعيداً عن فلسفة أعماله، إذ كان يرسم ويرسم ويرسم، تاركاً للرسم أن يصنع سواد عالمه قائلاً إن أعماله هي شهادته على الزمن الذي يعيش فيه. وكان كتب الفنان الراحل نعيم إسماعيل، حول معرض نذير الأول «من قرانا المنسية تأتي الريح شاحبة كئيبة، في هذه القرى منازل يسكنها بشر، هادئة كالتراب لكنها ليست صماء، تحكي قصصاً مخنوقة عن القحط والعطش والضجر، وفي أعماقها كلّ الحب وكل التحدي، نفوسنا تحب العطاء، ولكن ما يمكننا إعطاؤه قليل ويا للأسف! حياتنا هناك مختصرة وأبسط من بسيطة، بخيوط قليلة وألوان أقلّ، عفوية كالمشي والتنفس والخوف، لأننا في قرانا النائية والمنسية نعيش بالحد الأدنى من وسائل العيش، وبالحد الأدنى من وسائل الرسم.. نرسم».
ففي هذه المرحلة كان الفنان الراحل يشتغل على الطبيعة الصّامتة بأسلوبه الخاص في التعامل مع الطبيعة بوصفها منمنمة هندسية، الأمر الذي جعل العناصر التشكيلية تطغى على الخلفية، ضمن توجّه لا يخلو من لمسة صوفية.

لم يعرف أباه

كان ذكر الفنان مرةً سبب اهتمامه بالوجوه وبأنها موضوعه الأساسي في رسمه قائلاً «الوجه هو الموضوع الأساسي في فني وربما يعود اهتمامي بالوجوه لأنني لم أعرف أبي إلا من خلال صورة له، ولأني عشت يتيماً، فتراكم هذه المشاعر جعلني أتوجه إلى رسم الوجوه الصامتة من دون تحديد ما إذا كان رجلاً أو امرأة».

نظرة لفنان

بنظر الكثير من الفنانين يعتبر الفنان التشكيلي نذير إسماعيل فناناً مجدّاً وخلاقاً في العمل، لأنه دائم البحث في التقنية ساعيّاً بشكل دائم لاستخدام أساليب وطرق غير تقليدية في التلوين، وهذا بعد أن أوجد بدائل من خلال تصنيع المواد والأدوات اللازمة لإنجاز اللوحة ما جعل في النهاية إضافاته هذه تدخل في عملية الإبداع لديه، هذا بالإضافة لما يعتبره الكثير من الفنانين الزملاء والناقدين بأن مخزون الذاكرة للفنان الراحل كان يخزّن الكثير من العناصر أو الملامح الموجودة في الحياة، هذا إلى جانب الإجادة في توضّعها في العمل، ففي اللوحة الواحدة نجد مثلاً أكثر من عشرة أشخاص، ويتميّز كل واحد منهم بحالة تعبير أو استقراء لما يراه الشخص نفسه لما هو محيط، وبالتالي يتميز الراحل في أعماله بطريقة صادقة مشابهة لشخصه فهو لا يقدّم أعمالاً بطريقة بانورامية تبرز عضلات الفنان، بل قدّم استقراء ذاتياً لحالة استطاع أن يقدّمها في فهرسه الفني.
وبحسب ما قاله مرة الفنان الراحل «أنا أسهمت في صناعة الفكرة البصرية باللوحة، من خلال ما أقوم به من تجميع للأفكار وبلورة ملامح، فالخطوط في أعمالي فيها الكثير من الغرافيك إضافة إلى الملوّنات والأحبار التي أقوم بصناعتها، وخاصة أن الألوان ليست معلّبة بل استعاريّة وهذه الاستعارة أستغلها لمصلحة أعمالي بخياطة المنسوج الخطي أو اللوني بأشكال تتوافق مع العناصر التي أعمل عليها وخلالها».

معارض وجوائز

باعتباره الفنان التشكيلي نذير إسماعيل من فناني القرون الماضية، الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر، كان قدّم خلال مسيرته أكثر من ٦٢ معرضاً شخصياً في العديد من المدن السورية كحلب وحمص، والمدن العربية كالقاهرة ودبي والشارقة والدوحة، والعالمية كباريس وجنيف، وأقام معارض لاستعادة أعماله القديمة من ١٩٦٩ إلى ١٩٩٦ في معهد غوته في دمشق، بالإضافة إلى مشاركته في مئات المعارض الجماعية حول العالم، وبخصوص هذا الأمر كان بيّن إسماعيل مرةً، أنه وعلى الرغم من أنه أقام خمسين معرضاً شخصياً في دول مختلفة من العالم، إلا أنه لا يزال يعتبر نفسه في طور التجريب، معتبراً أعماله سجلاً لتجارب فاشلة، تمثّل حافزاً لعمل شيء مختلف في كل يوم.
كما حصل إسماعيل على العديد من الجوائز الفنية من أبرزها: الجائزة الثالثة للفنانين الشباب للعام ١٩٧١ في دمشق، وجائزة إنترغرافيك برلين ١٩٨٠، والجائزة الثالثة «لبينالي» الشارقة ١٩٩٦، كما يعتبره الكثيرون من أهم التشكيليين العرب الذين كان جمال البورتريه محور مشاريعهم الفنية، والجدير بالذكر أن أعماله مقتناة من وزارة الثقافة السورية، المتحف الوطني بدمشق، متحف دمّر، المتحف الملكي بعمان- الأردن، قصر الشعب- سورية، المتحف الوطني بقطر، والعديد من المجموعات الخاصة في كثير من دول العالم.

التّرجمة جسر حضاري بين أمم الأرض

«دور الترجمة في التنمية الوطنية» صياغة حضارية تفتح النوافذ للشمس

وزير الثقافة محمد الأحمد في معرض الكتاب المرافق للندوة

الباحث محمد أحمد عيد والدكتور ثائر زين الدين مدير هيئة الكتاب أثناء التكريم

عامر فؤاد عامر

«يرتبط ثراء اللغة ونهوضها بتقدّم حالة التنمية وثرائها، ويصيب اللغة ما يصيب الاقتصاد والتنمية، فهي عملة التفكير، تستثمر وتستورد وتصدّر، وتنمو وتتطوّر، وتتلاشى وتتقهقر، وتُسك الكلمات كما تسك النقود، وتقوم اللغة والترجمة بوظائف اقتصادية وتنمويّة، كما تقوم النقود أيضاً بوظائف اتصالية». هذا ما ورد في كلمة الباحث محمد أحمد عيد مدير ندوة «الترجمة في التنمية الوطنية» حيث كان الافتتاح بالنشيد العربي السوري، والوقوف دقيقة صمت تحية لأرواح الشهداء الأبرار، وكلمة وزير الثقافة راعي الندوة «محمد الأحمد» الذي بيّن فيها: «أن معركتنا اليوم ثقافيّة، وعلينا تقع مسؤولية تهيئة خطط مستقبلية نحمي من خلالها مشروعنا الحضاري ونخرج بمشروع وطني للترجمة نحن بأمس الحاجة إليه ونحن نخوض حرباً تستهدف الثقافة والحضارة والضمير الإنساني بشكل كبير».

دور الترجمة وفاعليتها

أدار الجلسة الأولى د. «جمال شحيّد»، وفيها جاء البحث الأول للأستاذ «عدنان جاموس»، بعنوان «دور الترجمة في مشروع منشأة الفرات الكهرمائيّة»، الذي أكد أن: «الترجمة هي أكبر مشروع تنموي يمكن أن يُرسي أساساً للنهوض باقتصاد الوطن من جديد وفيه يمكن التسلح بذخيرة ثقافية واسعة، إضافة إلى كفاءته وقدرته على جعل مشاريع التنمية بين الدول، وكأنها مشروع وطن واحد». وكان المبحث الثاني مع د. «ثائر زين الدين» مدير الهيئة العامة السوريّة للكتاب والعنوان»دور الترجمة في النهوض الحضاري والتنمية ومدّ جسور التواصل الثقافي». وقد أوضح: «إن الندوة اعتراف بعظمة دور المترجمين واعتراف بفضلهم، فهم من جعل جسم الأدب العالمي جسماً واحداً منذ هوميروس حتى اللحظة، وهم من أسهم إسهاماً جليلاً في إبقاء لغات شعوبهم حية وقابلة للتغير والتطور». أمّا البحث الثالث فكان لـ«حسام الدين خضور» بعنوان: «الترجمة في وزارة الثقافة: واقع وآفاق»، وتحدّث فيها عن نشأة وأهمية الترجمة في وزارة الثقافة وعن أغراضها التي لا يمكن الاستغناء عنها، وعن تطورها وطموحاتها.

وظائف وضرورة

أمّا الجلسة الثانية فأدارها الأستاذ حسام الدين خضّور والمبحث الأول كان للدكتورة. «لبانة مشوّح» وعنوانه: «دور الترجمة في تطوير اللغة الأمّ» وبينت فيه الدور المهم للترجمة في إغناء العربيّة بالمصطلحات والأساليب والدلالات لكأن الترجمة توازي في دورها اليوم دور الشاعر قديماً في إثراء اللغة العربيّة. أمّا د. «نورا آريسيان» فكان مبحثها بعنوان: «الترجمة الفوريّة ووظيفتها التنمويّة» والتي ذكرت فيها مجموعة من التوصيات كأن تعمل الجامعات في سورية على إدراج اللغات التي يتزايد دور شعوبها في الشأن الدولي واقترحت الفصل بين تعرفة الترجمة وتعرفة التأليف لاختلافهما كصناعة وترسيخ يوم الترجمة في حياتنا الثقافية. أمّا المبحث الثالث فكان للدكتور. «جمال شحيّد» بعنوان «مساهمة كبار الكتّاب في الترجمة» وأشار فيها إلى مواضيع مهمّة وأشاد بكبار الكتاب العرب الذين دخلوا بوابة الترجمة ولم يبخسوها حقها واعتبروها عملاً متمماً للكتابة فاختاروا أدباء غربيين وترجموا أعمالاً كثيرة لهم.

صيانة الهويّة

أدار الجلسة الثالثة الباحث «محمد أحمد عيد» الذي قال: «اختيار الترجمة طريقاً للانفتاح الحضاري الواعي للأمم، يحقق مبتغاها من النهضة ومواكبة العصر والريادة مع صيانة الهويّة». وجاء المبحث الأول مع د. «فؤاد خوري»، بعنوان: «مستقبل الترجمة والتقانات الحديثة»، والمبحث الثاني: للدكتور «ورد حسن»، والعنوان «أمانة النقل ونظريات الترجمة بين الميول الذاتيّة والضوابط الموضوعيّة».

مكرمو الترجمة

يذكر أنه تمّ تكريم مجموعة من المترجمين خلال هذه الندوة تشجيعاً لهم وللأجيال القادمة من بعدهم على تنشيط الترجمة كفعل حضاري ومؤثر إيجابي في حياتنا الثقافيّة في سورية والوطن العربي، وهؤلاء المكرمون هم: «موريس جلال»، و«عدنان جاموس»، و«عبد الكريم ناصيف»، و«جمال شحيّد»، و«علي أشقر»، و«فاضل جتكر»، و«لطيفة ديب»، و«نزار عيون السود»، و«بدر الدين عمود»، و«زياد عودة».
جاءت الندوة برعاية وزير الثقافة «محمد الأحمد» والهيئة العامة السورية للكتاب وبالتعاون مع جامعة دمشق، والمعهد العالي للترجمة، واتحاد الكتاب العرب، واتحاد الناشرين السوريين، أقيمت هذه الندوة الوطنية في مكتبة الأسد على مدى يومين.

«أسئلة السحاب» تتماوج بين فصول الطبيعة وألوانها وتقلب المشاعر وجنونها

الوطن

أصدر اتحاد الكتاب العرب «أسئلة السحاب» للشاعر زكريا مصّاص وهي السلسلة العاشرة، مؤلفة من ثلاثمئة وست عشرة صفحة، جاءت قصائدها غنية بصور الحب والجمال من جهة، والآلات الموسيقية المرسلة للنغمات الملّحنة مع سحر المشاهد الطبيعية، كما صورت القصائد مشاعر الحب المتماوجة بين لوعة الفراق والشوق والوجد والهيام الممزوج بوله الحب مع الحزن والضيق من الانتظار، وفي أماكن أخرى المشاعر متماوجة مع صور الطبيعة وعناصرها من ياسمين وسواسن ورقرقة الماء والآلات الموسيقيّة ذات الأصوات المختلفة والمعبّرة عما في النفس كرقة صوت الناي التي تصل إلينا كصلاة شعرية، تهمس همساً عبر السري ساعيّة إلى الوصول إلى تكوين روحي، تلاقى بين الشاعر والساقية، رغم أن البحر يهوج والريح تعصف، لأنه بنظر الشاعر، فالحب بيننا ويبقى الوطن مع ياسمين الشام، كما تبقى الشام رغم كل ما كان.
عناوين رائعة لقصائد رقّ لها الكلام مع الشعور في صياغة سلسلة بسيطة تدخل القلب مباشرة، وهذا واضح في السلسلة بشكل عام وفي قصيدة «أسئلة السحاب» وهي عنوان السلسلة وأول قصيدة فيها:

لمن يا شراع الأماني تغنّين جذلى
لمن.. وعلى ضفّة الشوق
ذابت رؤى السنبلة؟!
لمن يستردّ السحاب نسيج البحار
ويهمي.. على جزر الوقت
بالأسئلة؟!

وفي قصيدة «طائر الوجد» نجد رحابة الصدر والقدرة على اتساع الكون واحتضانه ضمن أذرع الشاعر، لأنه كطائر الوجد المحلّق في سماء الحب التي هي ملكه وهي في اتساعها كوسع قلبه المملوء حباً وعشقاً وتيمناً بكل شيء جميل مع قدرة عالية على التحدي وبإرادة تأبى التردد:

طائر الوجد في مغزلي
في غضون الخيال هنا
سادراً.. في فضاءٍ بعيدٍ
لا يبالي الردى
في ارتحالٍ إلى حتفه
عابراً وجهة الريح لا ينثني
والصدى
بعض أسفاره
في اكتشاف المدى
الفاتن

في قصيدة «لحن» يبدو فيها التفاؤل والقوة، فرغم الوحدة هناك التملك لعناصر كثيرة ومهمة في الحياة وكأنها دعوة من الشاعر لنا كي نصادق وحدتنا وأن نطوّع ما يحيط بنا كي يكون في صالحنا ومساعداً لنا في حياتنا:

أكون وحيداً؟!!
كأنّ السموات ملكي
أنّ بقلبي
مفاتيح جنّة
كأنّ الطيور

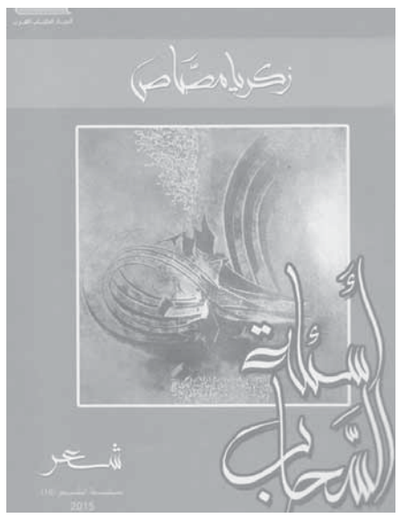

على آلتي أخذت لحنها
ومضت في الغناء
بعيداً... بعيداً..

في قصيدة «طبل وزمر» خليط المشاعر واضح مع ردود الأفعال المنسجمة مع المشاهد الطبيعية، حيث قال:

على جبل الرعد طبل وزمر
وليلٌ وخيمٌ وأنسٌ وخمر

تئن القوافي فعولن فعولن
فما فاد لحنٌ، ولا جاد شعر
وتبكي نزوحاً دروب الصباح
ويختنق بالورد لونٌ وعطر
فلا الدّرب أوصل كلّ السراة
ولا الريح قالت: هنالك قطر

وأخيراً في مرايا امرأة وفي الجزء الخامس وتحت عنوان «زهرة الشعر» قال الشاعر:

من آثار نحلاتي
فإني أبعث اليوم لها
شهدي وأبياتي
فخلّي الحقل بين الراح والأرواح
أسقي تربه شوقي
وأقطف منه زهراتي

وفي قصيدة عزف الناي فأنا الآتي أمسك غصن الرؤيا وأهشّ به فوق ينابيع اللقيا وأنا- ولشدّة ولعي بالقيثار نسيت يراعي ولشدة إبحاري في وجعي الغارق في بحر ذهولي فيك فقد ضيعت شراعي ولموج العمر الصامت وزّعت نشيد اللهفة كي تقرأني في اليمّ عروس الشعر وتسبر أوجاعي..